حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السادس . شهر شوال . ١٤٣٧ هـ / تموز . ٢٠١٦ م

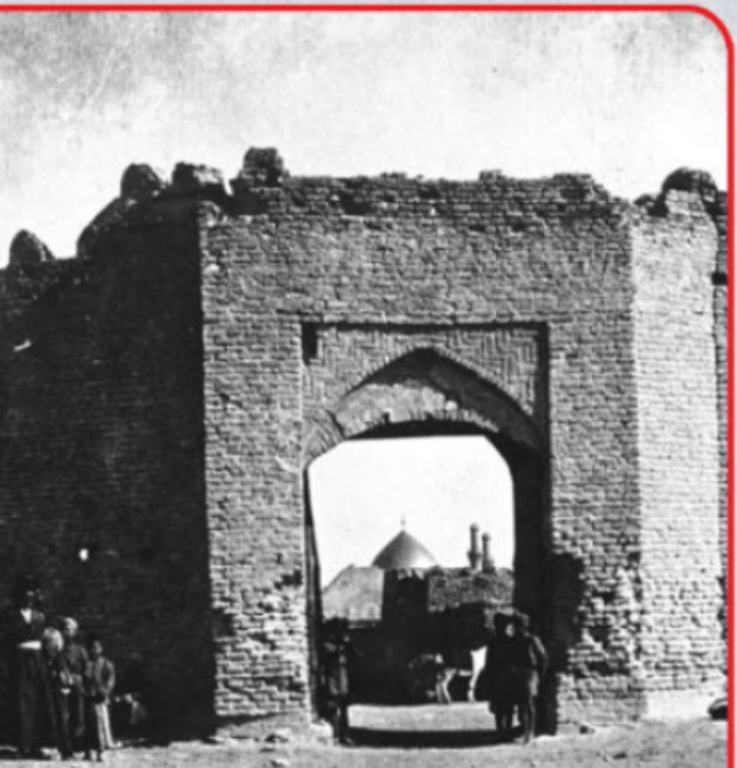

عدد ممتاز

بمناسبة ختام فعاليات عام الامام علي (عليه السلام)

٦

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

رئيس التحرير
د. كامل سلمان
الجبوري

بين كوفان والكويفة

الأستاذ المهندس : تحسين عمارة

تناولت الدراسات الرصينة الكوفة على مدى الأعداد الخمسة للسنوات الخمس من عمر مجلة حولية الكوفة الغراء لذلك سوف لا أتحدث عن الكوفة إلا بمقدار ما يتعلق بتسمية كوفان والكويفة.

كوفان

في مراصد الاطلاع نقرأ «كوفان: بالضم، ثم السكون، وفاء، وآخره نون موضعان أحدهما أسم الكوفة والآخر قرية بهراة»[1].

ومن كوفان هراة[2] والنسب إليها الكوفاني ومنها أحمد بن أبي نصر الكوفاني شيخ الصوفية بهراة[3] ومن هراة سافر إلى العراق والحجاز ومصر وكان شيخا عفيفا حسن السيرة كما ورد في معجم البلدان للحموي[4].

يرى بعض المؤرخين أنّ اسم كوفان سبق تمصير الكوفة من قبل سعد بن أبي وقاص في السنة السابعة عشرة من الهجرة، و سبق قول سعد لأصحابه تكوفوا في هذا المكان أي اجتمعوا فيه، وفي لسان العرب «وقال المفضل: إنما قال كوفوا هذا الرمل أي نحوه وانزلوا»[5] وفي تاج العروس ما يؤكد ذلك «عن اللحياني قال: كوفان اسم الكوفة و بها كانت تدعى قبل»[6] وكذلك «قال الكسائي: كانت الكوفة تدعى كوفان»[7].

وكذلك بعد ذكر ما قال سعد لأصحابه عند بناء الكوفة «كان اسمها قديما كوفان»[8].. وفي معجم ما أستعجم «والكوفة رملة مستديرة، ومنه قولهم: كأنهم يدورون في كوفان، بضم الكاف وبفتحها، وقد تشدد الواو، أي في شيء مستدير، وقيل بل سميت بجبل صغير كان فيها يسمى كوفان»[9].

والكوفان: بالضم العز والمنعة إنه لفي كوفان في ذلك أي حرز ومنعة[10].

وما روي من حديث قبل تمصير الكوفة ودلالة إن اسم كوفان سبق اسم الكوفة.

ففي سلسلة رواة عن عبد الله بن مسعود «قال: قال رسول الله(ﷺ): يا بن مسعود لما أسري بي إلى السماء الدنيا أريت مسجد كوفان فقلت يا جبرائيل ما هذا ؟ قال: مسجد مبارك كثير الخير والبركة اختاره الله لأهله وهو يشفع لهم يوم القيامة»[11].

وأيضا «رأيت كتابا عن الحسن بن الحسين بن طحال المقدادي قال: وروى الخلف عن السلف عن ابن عباس أن

---

(1) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - صفي الدين البغدادي (ت: 739) تحقيق محمد البجاوي ط 1 بيروت 1955 ج /3 ص 1187.

(2) هراة: ولاية إحدى المحافظات الأربع والثلاثين بأفغانستان تقع غرب البلاد قرب الحدود الإيرانية.

(3) تاج العروس في شرح جواهر القاموس - الزبيدي (ت: 1205) بيروت 1994 ج /18 ص 482.

(4) معجم البلدان - ياقوت الحموي (ت: 626) بيروت 1979 ج /4 ص 490.

(5) لسان العرب - ابن منظور (ت: 711) قم محرم 1405 ج /9 ص 311.

(6) المصدر السابق.

(7) تاج العروس - المصدر السابق ج /12 ص 469.

(8) النهاية في غريب الحديث - ابن الأثير (ت: 606) ط 4 قم 1362هـ ش ج/4 ص210.

(9) معجم ما استعجم - البكري الأندلسي (ت: 487) تحقيق وضبط مصطفى السقا، ط3، بيروت، 1983، ج/4، ص1142.

(10) تاج العروس - المصدر السابق ج/2 ص470.

(11) الغارات - إبراهيم بن محمد الثقفي (ت: 283) تحقيق جلال الدين الحسيني ج/2 ص800.

رسول الله(ﷺ) قال لعلي عليه السلام: يا علي إن الله عرض مودتنا أهل البيت على السموات والأرض فأول من أجاب منها السماء السابعة فزينها بالعرش والكرسي، ثم السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور، ثم سماء الدنيا فزينها بالنجوم ثم أرض الحجاز فشرفها بالبيت الحرام، ثم أرض الشام فشرفها ببيت المقدس، ثم أرض طيبة فشرفها بقبري، ثم أرض كوفان فشرفها بقبرك يا علي فقال: أقبر بكوفان العراق ؟ فقال له: نعم تقبر بظاهرها، تلأ بين الغريين والذكوات البيض»[1].

ووردت كوفان في خطب الأمام علي عليه السلام فمن خطبة له «الأول قبل كل أول. الآخر قبل كل آخر، بأوليته وجب أن لا أول له، وبآخريته وجب أن لا آخر له. وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة يوافق فيها السر الإعلان والقلب واللسان.

أيها الناس لا يجرمنكم شقائي، ولا يستهوينكم عصياني، ولا تتراموا بالأبصار عندما تسمعون مني. فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن الذي أنبئكم به عن النبي الأمي(ﷺ). ما كتب المبلغ ولا جهل السامع. لكأني أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام، وفحص برایاته في ضواحي كوفان. فإذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته. وثقلت في الأرض وطأته عضت الفتنة أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها. وبدا من الأيام كدوحها. فإذا أينع زرعه وقام على ينعه، وهدرت شقاشقه، وبرقت بوارقه، عقدت رايات الفتن المعضلة، وأقبلن كالليل المظلم، والبحر الملتطم، هذا وكم يحرق الكوفة من قاصف، ويمر عليها من عاصف. وعن قليل تلتف القرون بالقرون، ويحصد القائم ويحطم المقصود»[2].

في هذه الخطبة ذكر الأمام علي كوفان وذكر الكوفة أيضا والكوفة وكوفان مسمى واحدا..

ومن خطبة له عليه السلام «كأني به قد نعق بالشام، وفحص برایاته في ضواحي كوفان، فعطف عليها عطف الضروس، وفرش الأرض بالرؤوس، قد فغرت فاغرته وثقلت في الأرض وطأته، بعيد الجولة عظيم الصولة.. إلى آخر الخطبة»[3].

(1) المصدر السابق ص 844.

(2) شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد (ت: 656) تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم - القاهرة ج / 7 ص 98.

(3) المصدر السابق ج / 9 ص 46.

وتردد اسم كوفان بالشعر العربي كثيرا ومن ذلك ما ورد في كتاب الغدير من شعر السيد الحميري (توفي 173هـ/789م) عندما حضرته الوفاة في بغداد قال[4]:

يا أهلَ كوفانَ إنّي وامقٌ لكمُ
مذ كنتُ طِفلاً إلى السبعين والكِبَرِ
أهواكمُ وأوالـيكمْ وأمدحُكمْ
حتماً عليَّ كمحتوم من القَدَرِ
لِحبُكم لوصيِّ المصطفى وكفى
بالمصطفى وبهِ من سائرِ البَشَرِ
والسيِّدين أولي الحسنى ونجلِهم
سمِّي من جاءَ بالآياتِ والسورِ
هو الإمام الذي نَرجو النجاةَ بهِ
من حرِّ نارٍ علَى الأعداءِ مستعرِ
كتبتُ شعري إليكم سائلاً لكمُ
إذ كنت أُنقل من دارٍ إلى حُفَرِ
أن لا يلينـي سِواكم أهلُ بَصرَتنا
الجاحِدون أو الحامون للبَدرِ
ولا السلاطينُ إن الظلم حالفَهمْ
فَعُرفُهم صائرٌ لا شكّ للنُّكُرِ
وكفّنوني بَياضاً لا يخالطُه
شيءٌ من الوشي أو من فاخرِ الحِبَرِ
ولا يُشيّعني النُصّابُ إنّهم
شرُّ البريةِ من أُنثى ومن ذَكَرِ
عسى الإلهُ يُنجّيني برحمتِه
ومدحيَ الغررِ الزاكينَ من سَقَرِ

وفي ظني إن اسم كوفان يأتي مرة ليشمل منطقة الكوفة كما قرأنا في نص الحديث الشريف المار ذكره ومرة أخرى ليعني المدينة ذاتها كما ورد في شعر السيد الحميري. بينما يأتي قول الشاعر المؤيد في الدين (توفي 470هـ/1077م) ذكر كوفان ليشمل منطقة الكوفة بقوله[5]:

فقد زُرتُ في كوفان للمجْدِ قبَّة
هي الدينُ والدنيا بِحَقٍّ كما هيَا
هي القبَّةُ البيضاءُ قبَّةُ حيدر
وصيِّ الذي قد أرسل الله هاديا

(4) الغدير - الشيخ الأميني (ت: 1392) ط 4 بيروت 1977 ج / 2 ص 272.

(5) المصدر السابق ج / 4 ص 306.

الكويفة

قبل فتح العراق قرأت في كتاب معجم ما استعجم في ذكر الكويفة «موضع في بلاد الأزد، يقال لها كويفة عمرو بن قيس الأزدي، كان أبرويز لما أنهزم من بهرام جور نزل به، فقراه وحمله، فلما رجع إلى ملكه أقطعه ذلك الموضع»[1].

ذكر الطبري اسم الكويفة في حوادث السنة الثانية عشرة للهجرة وقبل معركة القادسية، عندما بعث خالد بن الوليد عماله ومسالحه ومنهم جرير بن عبد الله على بانيقيا وبشير بن الخصاصية على النهرين فنزل الكويفة ببانبورا[2].

في ذكر تمصير الكوفة ذكر البلاذري «وحدثني جعفر بن عمر العمري قال: حدثني الهيثم بن عدي الطائي قال: أقام المسلمون بالمدائن واختطوها، وبنوا المساجد فيها، ثم إن المسلمين استوخموها واستوبؤوها، فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر. فكتب إليه عمر أن ينزلهم منزلا غربيا. فارتاد كويفة ابن عمر. فنظروا فإذا الماء محيط بها، فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم»[3].

وأيضا كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص «أعد للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحرا فنزل سعد بالأنبار فاجتووها وأصابهم بها الحمى، فكتب إلى عمر يخبره بذلك فكتب إلى سعد أنه لا يصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العشب فانظر فلاة إلى جانب البحر فأنزل المسلمين بها وأجعلها دار هجرة فسار سعد حتى نزل بكويفة فلم يوافق الناس بها من كثرة الذباب والحمى فبعث سعد عثمان بن حنيف فأرتاد لهم موضع الكوفة اليوم»[4].

وفي تاريخ الطبري «فسار سعد حتى نزل كويفة عمر بن سعد فلم توافق الناس مع الذباب والحمى فبعث سعد رجلا من الأنصار يقال له الحارث بن سلمة ويقال بل عثمان بن حنيف فأرتاد لهم موضع الكوفة»[5].

من هذه النصوص التي ذكرناها يمكن معرفة موقع الكويفة بأنها بين المدائن والكوفة وربما يكون الاسم أيضا معروفا قبل تمصير الكوفة وتم إضافة ابن عمر بعد أن نزلها عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

وفي معجم البلدان... «الكويفة: تصغير الكوفة يقال (كويفة ابن عمر) منسوبة إلى عبيد الله بن عمر بن الخطاب نزلها حين قتل بنت أبي لؤلؤة، والهرمزان وجفينة العبادي وهي بقرب بازيقيا»[6] وكان عبيد الله بن عمر لما قتل أبوه، اتهم الهرمزان ورجلا من أهل الحيرة نصرانيا كان سعد بن أبي وقاص أقدمه المدينة معه فكان يعلم ولده والناس الكتابة والحساب يقال له جفينة بالموالاة لأبي لؤلؤة، فقتلهما وقتل ابنة أبي لؤلؤة[7]..

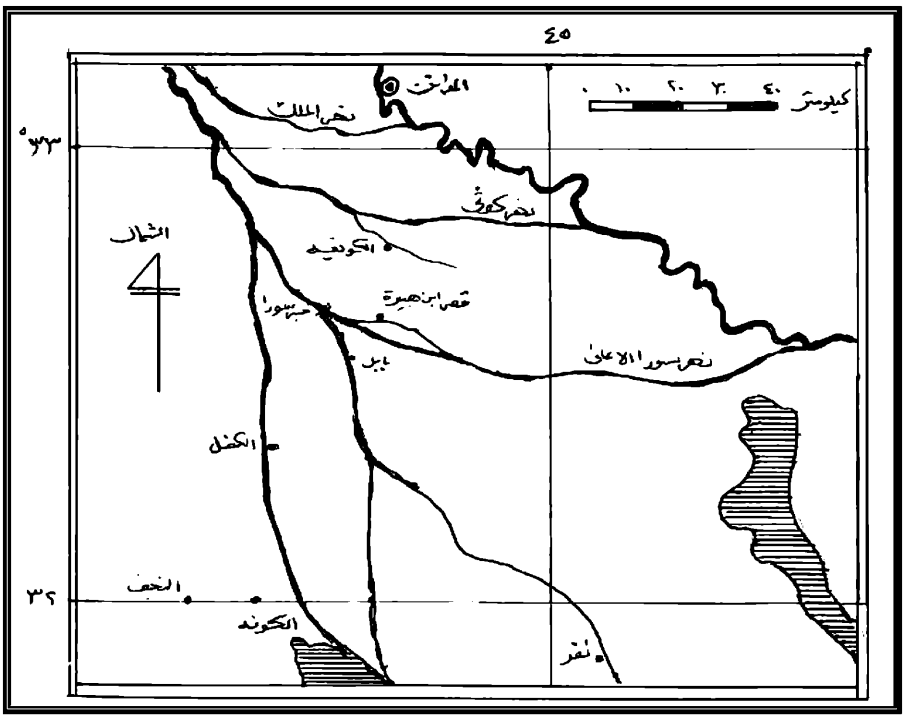

خارطة موقع الكويفة في القرون الهجرية الأولى

(1) معجم ما استعجم - المصدر ا
(2) تاريخ الطبرى - الطبرى (ت:
(

وبزيقيا كلمة آرامية تعني الباشق أو الباز[1] وفي تقديري هي بازيقيا و با في الآرامية تعني البيت أو المحل أو الموطن فيكون معنى بازيقيا بالعربية هو بيت الباشق أو بيت الباز..

ومن نص الحموي في معجم البلدان الذي ذكرناه يمكن تحديد موقع الكويفة بالبحث عن موقع بازيقيا.. فيذكر ابن رسته إنها من محطات الطريق بين بغداد والكوفة وتبعد عن جسر كوثى ستة أميال وعن قصر ابن هبيرة تسعة أميال[2].

وذكر ابن خرداذبة محطات الطريق بين مدينة السلام إلى مكة «من بغداد إلى جسر كوثى سبعة فراسخ ثم إلى قصر ابن هبيرة خمسة فراسخ ثم إلى سوق أسد سبعة فراسخ ثم إلى شاهي سبعة فراسخ ثم إلى الكوفة خمسة فراسخ فذلك أحد وثلاثون فرسخا»[3].

بما إن الفرسخ يساوي خمسة كيلومترات ونصف تكون المسافة بين بغداد والكوفة حوالي 170 كيلومترا ويعني أنَّ قياسات ابن خرداذبة دقيقة إذا اعتبرنا طرق تلك الأيام واختلافها عن مسارات الطرق في أيامنا. أي إن المسافة بين الكوفة وقصر ابن هبيرة هي تسعة عشر فرسخا وفي كتاب الأعلاق النفيسة لأبن رسته[4] وفيها تم وضع جدول لمحطات الطريق بين الكوفة وبزيقيا وقد أطلق اسم البزبكية على بزيقيا أي بعبارة أخرى بين كوفان والكويفة.

من	إلى	المسافة (ميل)
بزيقيا (الكويفة)	قصر ابن هبيرة	9
قصر ابن هبيرة	جسر سورا	2
جسر سورا	ذمار	9
ذمار	سوق أسد	7
سوق أسد	اليعقوبية	4
اليعقوبية	القناطر	7
القناطر	شاهي	10
شاهي	الكوفة	18
المجموع		66ميل

وهذه القائمة بأسماء المحطات التي ذكرها ابن رسته هي أوسع ما ذكر من محطات ولكني بحثت عن ذمار في كتب البلدان ولم أجد لها ذكرا سوى ذمار اليمن وكذلك لم أجد لليعقوبية أي ذكر أيضا.

والمسافة 66 ميلاً أي حوالي 106 كيلو متر بين كوفان والكويفة وإذا حسبنا المسافة بين الكويفة وجسر سورا ونهر سورا هو نهر حلة بني مزيد[5] وبحساب المسافات والمواقع في أيامنا يكون موقع الكويفة قرب ناحية الحصوة ولا اعلم هل للتسمية بطبيعة التربة الحصوية المخلوطة بالرمل وتلك المنطقة هي منطقة حصوية شمال جدول الأسكندرية الحالي وهي المأخذ القديم لنهر الفرات بعد أن تحول من مجرى كوثى إلى مجرى بابل، «ويمكن تتبع آثاره وهو يمتد بمحاذاة المرتفعات الحصوية في تلك المنطقة من الشمال متجها نحو الجنوب الشرقي بمحاذاة المرتفعات الحصوية في تلك المنطقة»[6] أي إن تسمية الحصوة جاءت من طبيعة التربة الحصوية وطبعا المخلوطة بالرمل حسب طبيعة المنطقة وهو ما ورد في أصل تسمية الكوفة «كل رملة تخالطها حصباء»[7].

ونلاحظ إن تقديرات الجغرافيين العرب الأوائل متقاربة فعند تقدير المسافة بين بغداد والكوفة فقد قدر الأصطخري وابن حوقل المسافة بأربع مراحل، أما الأدريسي فقد قدرها بخمس مراحل[8] والمرحلة أو المنزلة تدلان على المسافة المقطوعة (على الناقة أو الفرس) في يوم واحد، وتتراوح بين 6-8 فراسخ حسب تضاريس الطريق والفرسخ يساوي ثلاثة أميال[9] والميل يساوي 1،6 كيلومتر.

وسميت حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال[10] وشكوا إلى عمر بن الخطاب عندما زارهم عاملهم من قبله[11]

(1) مجلة حولية الكوفة العدد الأول سنة 2011 ص 48 - الكوفة رحلة في تاريخية الاسم - الأستاذ معن حمدان علي.
(2) الأعلاق النفيسة - ابن رسته (ت: 300) ليدن 1892 ص 182.
(3) المسالك والممالك - ابن خرداذبه (ت: 280) ليدن 1889 ص 155.
(4) الأعلاق النفيسة - المصدر السابق المصدر السابق.
(5) معالم العراق العمرانية - دصالح أحمد العلي (ت: 2003 م) بغداد 1989 ص84
(6) تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية - الدكتور أحمد نسيم سوسة (ت: 1402) بغداد 1983.
(7) تاج العروس المصدر السابق ج / 12 ص 469، الأخبار الطوال للدينوري 124.
(8) خطط بغداد وأنهار العراق القديمة - مكسمليان شتريك ترجمة د خالد إسماعيل علي بغداد 1986 ص32.
(9) المصدر السابق ص 14، 15.
(10) تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر (ت: 571) بيروت 1415 ج/21 ص 161.
(11) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - أبي الفرج ابن الجوزية (ت: 597) تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا ط 1 بيروت 1992 ج/4 ص302.

ولا أعلم هل إن التسمية جاءت من تصغير الكوفة أم أن إضافة الصغرى جاءت لتميزها عن كويفة العراق وفي هذه الحالة تبين كبرها واتساعها.

***

هناك تفسير لاسم الكوفة غير التفسير العربي الذي ذكرنا قسما منه في التطرق إلى تسمية كوفان وتسمية الكويفة، وهو الأصل الآرامي للاسم في أن الكوفة يقال لها: كوبا أو كوبه وهي كلمة آرامية تعني الشوكة أو العاقول ويتساءل يعقوب سركيس إن كان من الناس يقول كوبا أو يقول عاقولا وان رجال الفتح الإسلامي قد سمعوا هذه اللفظة وقالوا كوفة[1]، ولكن ما مر علينا في تسمية كوفان وتسمية الكويفة يجعلنا نتوقف عند التفسير غير العربي لأصل الاسم مع أن الدكتور مصطفى جواد رد على الأستاذ يعقوب سركيس حين ذكر «اسم الكوفة يمكننا أن نعرف أعربي هو أم أعجمي ؟ بالبحث عما يقابله من المضعف لأن الثلاثي المعتل وليد المضعف... إلى آخر الرد»[2] وفيه يستنتج الدكتور مصطفى جواد أن الاسم عربي «فالكفة والكوفة يعنيان الاستدارة في الرمل ولاسيما استدارة الأشياء والبناء فأصلهما إذا عربي لا شك فيه، ومنه اشتقوا الفعل تكوف»[3].

والاسم العربي وارد طالما أن العرب كانوا موجودين في العراق منذ زمن بعيد ومنهم قبيلة قضاعة لكنها أخرجت على يد الدولة الساسانية إلى الشام[4].

(1) مجلة الاعتدال العدد1 السنة 1946 ص33 - نظرة في كتاب ماضي النجف وحاضرها - يعقوب سركيس.

(2) مجلة الاعتدال العدد 4 السنة 1946 ص259 - نظرة متمة لنظرة - مصطفى جواد.

(3) المصدر السابق.

(4) محاضرات في تاريخ العرب - د.صالح أحمد العلي (ت: 2003م) الموصل 1981 ج/1 ص65.

الخارطة المرفقة

اعتمدنا في رسم الخارطة المرفقة على:

1- تاريخ حضارة وادي الرافدين.. في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية.. للدكتور أحمد سوسة بغداد 1986 للصفحات من 228-230.

2- بلدان الخلافة الشرقية - تأليف كي لسترينج ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ط1 قم 1427هـ الصفحات 91-95 وقد رسم خريطة للعراق مع إقليم خوزستان مع قسم من أقاليم الجزيرة في الصفحة 41.

3- خطط بغداد وأنهار العراق القديمة - مكسمليان شتريك ترجمة الدكتور خالد إسماعيل علي بغداد 1986 في الصفحات من 46-51 وقد اعتمد على التفاصيل التي ذكرها ابن سيرابيون.

4- الطريق إلى المدائن - أحمد عادل كمال - ط 6 بيروت 1986 وفيه خارطة برقم 26 في صفحة 391 من الكتاب موضحا فيه مسرح عمليات أبي عبيدة.

5- بالإضافة إلى المصادر والمراجع المذكورة.